مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية
Anbar University Journal Of Islamic Sciences
P. ISSN: 2071-6028 E. ISSN: 2706-8722
Volume 16- Issue 1 - March 2025 | المجلد ١٦- العدد ١ -اذار ٢٠٢٥م

فضيلة الصبر عند الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين دراسة مقارنة بين الدين والفلسفة

١- أحمد زغير عبد صالح الحلبوسي
جامعة الانبار/ كلية العلوم الإسلامية

٢- أ.د. إبراهيم رجب عبد الله
جامعة الانبار/ كلية العلوم الإسلامية

١- الإيميل:
ahm21i3004@uoanbar.edu.iq
٢- الإيميل:
ibrahim.rajab@uoanbar.edu.iq

DOI: 10.34278/aujis.2025.186346

تاريخ استلام البحث: ٢٠٢٣/٥/٢٣م
تاريخ قبول البحث للنشر: ٢٠٢٣/٨/١م
تاريخ نشر البحث: ٢٠٢٥/٣/١م

الكلمات المفتاحية:
الغزالي، الصبر، الدين، الفلسفة.

©Authors, 2025, College of Islamic Sciences University of Anbar. This is an open-access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تبيان حقيقة فضيلة الصبر ومعناها عند الإمام الغزالي، وما لهذه الفضيلة العظيمة من نفع على العبد عند تحليه بها، فقمنا بتعريفها والتغييرات التي تطرأ على مسمى الصبر عند الغزالي وبيان أقسامه عند الغزالي وحاجة العبد إليه، وقمنا كذلك بالتعريف بالإمام الغزالي وبكتابه، وقمنا بمقارنة مفهوم الصبر عند بعض الفلاسفة والصوفية.

The virtue of patience in Al-Ghazali's book Ahya'a Eloomul Deen, a comparative study Between Religion and Philosophy

[1] **Ahmed Zughair Abdel Salah Al-Halbousi**

University of Anbar - College of Islamic Sciences

[2] **Prof. Dr. Ibrahim Rajab Abdullah**

University of Anbar - College of Islamic Sciences

1: Email: ahm21i3004@uoanbar.edu.iq

2: Email ibrahim.rajab@uoanbar.edu.iq

Abstract:

This research aims to clarify the reality of the virtue of patience and its meaning according to Imam Al-Ghazali, and the benefit of this great virtue to the servant when he is endowed with it. We defined the concept of patience and the changes that come across the concept of patience according to Al – Ghazali , and we also come across the divisions of patience and the need of the servant to it . We also talked briefly about Immam Al-Ghazili's life and his book . And we compared the concept of patience with some philosophers and Sufis.

DOI: 10.34278/aujis.2025.186346

Submitted:	**23/5 /2023**
Accepted:	**1/8 /2023**
Published:	**1 /3 /2025**

Keywords:
Al-Ghazali, patience, Religion; philosophy.

©Authors, 2025, College of Islamic Sciences University of Anbar. This is an open-access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

سنعرض في هذا البحث العلمي الموسوم بـــ(فضيلة الصبر عند الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين دراسة مقارنة بين الدين والفلسفة) بيان فضيلة الصبر كما شرحه الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، فإن الصبر من الفضائل التي امتدحها الله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم حيث قال:﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [(١)] ، وذكرها النبي صلى الله عليه وسلم وحث عليها، فقال: (...وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً)[(٢)].

وقد تتابع العلماء في تبيان هذه الفضيلة والحثّ عليها ومن هؤلاء العلماء إمامنا الغزالي رحمه الله، إذ ذكر في كتابه إحياء علوم الدين كلامًا كثيرًا عن هذه الفضيلة وقد قمت بجمعه ودراسته مقارناً بينه وبين بعض الفلاسفة والصوفية بشأن هذه الفضيلة العظيمة وكان سبب اختيارنا لهذا البحث هو أهمية هذه الفضيلة لكل إنسان على مر العصور وفي مختلف مراحل حياته، وكذلك عمق تناول الإمام الغزالي لهذه الفضيلة الأخلاقية.

أهمية الموضوع: تتجلى أهمية الموضوع لأنه يتعلق بالأخلاق التي تعدُّ ركناً أساسياً من أركان بناء الإنسان فرداً وجماعةً، فيقاس الإنسان منزلةً ورقيًا بما يملكه من قيم أخلاقية فهي أساس بناء الحضارة وتطورها، وتتجلى أهمية الموضوع كون الأخلاق الطريق الموصل للسعادة في الدارين. ومن ناحية أخرى تتجلى أهمية

---

(١) سورة الزمر : الآية (١٠).

(٢) أحمد بن محمد بن حنبل، الشيباني.(تـــ٢٤١هـــ). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط٢. (مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩): ١٩/٥، برقم(٢٨٠٣).

الموضوع كونه يتناول الأخلاق عند علَم من أعلام الأمة الإسلامية، فنحاول أن نبين هذه الأخلاق عند هذا العلم ومقارنتها بين الدين والفلسفة .

سبب اختيار الموضوع: بيان هذه الفضيلة العظيمة التي يكون مدار الإيمان عليها، لأنَّ الصبر عدّهُ الشارع الكريم نصف الإيمان فهو ضرورة للمسلم في الحياة الدنيا.

ولما لهذه الفضيلة من ذكرٍ في القرآن الكريم وفضلٍ لمن لازمها واتصف بها، فلهذا جعلها الإمام الغزالي من المنجيات التي ينجو بها العبد في الدارين، فهو من ضرورات الدين اللازمة للعبد، فحاجة العبد للصبر في أداء الطاعات وفي اجتناب المحرمات وفي الصبر على الابتلاءات والاقدار التي تنزل بالمسلم، فكان جزاء الصابرين أنهم يوفون أجرهم من غير حساب.

الدراسات السابقة: وقد تناول بعض الباحثين هذه الفضيلة عند الغزالي في ضمن تناولهم للأخلاق عنده مثل:

١. الأخلاق عند الغزالي : لزكي مبارك .
٢. الأخلاق في الأديان السماوية : أبو ضيف المدني .
٣. الأخلاق الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني .

منهجية البحث:

اتبعت في هذا البحث منهج الجمع والمقارنة مع بعض فلاسفة الإسلام وبعض فلاسفة اليونان وذلك بعرض أقوالهم في هذه الفضيلة وبيان أقوال بعض الصوفية وبيان مدى موافقة أقوالهم للغزالي، وانماز هذا البحث أنه متعلق بفضيلة الصبر فقط . لذا جاء متوسعاً في تبيان هذه الفضيلة بالذات.

وقسمنا هذا البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج وقائمة بأهم المصادر والمراجع.

✓ **المبحث الأول: التعريف بالإمام الغزالي وكتابه الإحياء .**

المطلب الأول: التعريف بالإمام الغزالي، اسمه، لقبه، وفاته .

المطلب الثاني: نبذة موجزة عن كتاب الإحياء .

المطلب الثالث: تعريف فضيلة الصبر لغة واصطلاحًا.

المطلب الرابع : الصبر في القرآن الكريم والسنة النبوية .

✓ **المبحث الثاني : بيان حقيقة فضيلة الصبر عند الغزالي.**

المطلب الأول : التغييرات التي تطرأ على مسمى الصبر عند الغزالي.

المطلب الثاني : أقسام الصبر عند الإمام الغزالي .

المطلب الثالث : حاجة العبد للصبر كما يرى الغزالي.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المبحث الأول: التعريف بالإمام الغزالي وكتابه الإحياء

المطلب الأول: التعريف بالإمام الغزالي

اسمه ونسبه: هو محمد بن محمد بن أحمد، حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، أحد أعلام عصر القرن الخامس الهجري، ولد بطوس (٤٥٠ه) وإليها يرجع فيقال الطوسي[١] .

لقبه: أما لقبه فقد ذكرت المصادر التي ترجمت للإمام الغزالي (رحمه الله) بأنَّ له ألقاب كثيرة منها ما تدل على مكانته العلمية، ومنها ما تدل على الصنعة، ومنها ما تدل على المسكن والنشأة التي نشأ فيها، فكان لابدَّ من بيان تلك المناسبات وتعاليلها التي نسبت اليه عن طريق الاطلاع على كتب أهل العلم وكانت كالآتي:

١- لُقب الإمام الغزالي كما تذكر التراجم بألقاب كثيرة في حياته، أشهرها حجة الإسلام، وأعجوبة الزمان زين العابدين، الشيخ الإمام البحر، صاحب التصانيف والذكاء المفرط[٢].

---

(١) ينظر: خير الدين بن محمود الزركلي.(ت١٣٩٦هـ). *الأعلام*. ط١٥.(دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، (٢٣/٧).

(٢) ينظر: محمد بن أحمد الذهبي. (ت:٧٤٨هـ). *سير أعلام النبلاء* . تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. ط٣. (مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م)، (٣٢٤/٢٣).

٢- ولُقب أيضاً بلقب البلدة التي كان يقطنها، والتي تربى في أحضانها وهي مدينة غزالة، وهي من قرى طوس التابعة لنيسابور[١] .

وفاته: فقد ذكرت التراجم أن يوم الأثنين (١٤/جمادي الآخرة /٥٠٥ه) هو اليوم الذي استوفت فيه أنفاس الإمام الغزالي واستكملت رزقها وأجلها، فودع فيه الإمام الغزالي هذه الدنيا، لتفيض روحه الطاهرة إلى بارئها، ولم يعقب إلا البنات، روى أبو الفرج بن الجوزي عن أحمد أخو الغزالي: "بينما كان يوم الأثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد وصلى وقال: عليَّ بالكفن، فأخذه وقبله ووضعه على عينيه وقال: سمعاً وطاعةً للدخول على الملك، ثمَّ مدَّ رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الإِسفار" [٢] .

المطلب الثاني: نبذة موجزة عن كتاب الإحياء .

يعد كتاب (إحياء علوم الدين) من أهم الكتب المعنية في مسائل الرقائق والآداب، وقد أشار الغزالي(رحمه الله) في مقدمته النفيسة التي بدأها بالحمد والصلاة والسلام على سيد المرسلين ثمَّ بين أنه استخار الله تعالى في تأليف كتابه وسماه إحياء علوم الدين، وقد ذكر الإمام الغزالي وبين سبب تأليفه للكتاب وهو أنَّ الناس قد ابتعدت عن علوم الدين فقال في مقدمته: وظلَّ علم الدين مندرساً، وتخيل الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين بها القضاة في فصل التخاصم والتهاوش أو الجدل الذي يتدرع به طلاب المباهاة من الغلبة والإفحام، وأما علم طريق الآخرة وما درج عليه سلف الأمة مما سماه الله في كتابه فقهاً وعلماً فقد أصبح عند الخلق مطوياً وصار منسياً[٣] .

---

(١) ينظر: الزركلي: (٢٣/٧).

(٢) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي.(ت:٥٩٧هـ). *الثبات عند الممات*. تح: عبد الله الليثي الأنصاري.ط١. (بيروت :١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م)، ص(١٧٨).

(٣) ينظر : أبو حامد محمد الغزالي(ت ٥٠٥هـ). *إحياء علوم الدين*. (بيروت: دار المعرفة)، مقدمة المؤلف (٢/١).

ويعد كتاب الإحياء من الكتب التي تُعنى بتزكية النفس الإنسانية، وفيه تنبه الغافلين على ضياع الوقت، فقد نصَّ في مقدمته على تنبيه مهم أنَّ بيان العلم لابد له من عمل تُزكى به النفس فقال: لابد من ملازمة الرسم والعمل بمقتضى العلم طمعاَ في نيل رضا الله تعالى ونيل ما تعبده الله تعالى به من تزكية للنفوس وإصلاح للقلوب، وتداركاً لما فات من إضاعة للعمر من تفريط، ثمَّ بيّنَ أنَّ هذا العمل هو محط توفير للآخرة لأنها مقبلة والدنيا مدبرة وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد بصير[١] . وعن طريق القراءة في هذا المطلب الذي بين أيدينا فقد تبين أنَّ الإمام الغزالي (رحمه الله) كان من الأئمة الحريصين على العلم وتعلمه واتباعه بالعمل، لأنَّ العلم بدون العمل لا يمكن جناء ثماره، وهذا الكتاب من أهم الكتب المؤلفة في بيان مواطن الأخلاق التي صنفها عن طريق كتابه إحياء علوم الدين، ومن بين تلك الفضائل (فضيلة الصبر عند الغزالي) التي سنرد الى دراستها وتحليل ما فيها عن طريق هذه الدراسة إن شاء الله.

المطلب الثالث: معنى الصبر لغةً واصطلاحا

أما اللغة: فقد جاء معنى الصبر في المعاجم اللغوية ؛ بأنه من صبر: والصبر نقيض الجزع .والصَبرُ: حبس النفس عن الجزع، وقد صَبرَ فلانٌ عند المصيبة يصبرُ صبراً [٢] .

وقد حلّلَ حروفه ابن فارس عن طريق بيان دلالة كل حرفٍ من حروفه؛ وذلك لأهميته للإنسان وعلو منزلته فقال "الصَادُ والبَاءُ والراءُ أصولٌ ثلاثةٌ، الأول الحَبسُ ،والثاني أعالي الشيء، والثالثُ جِنسٌ من الحجارة. فالأول: الصبرُ وهو

(١) ينظر: المصدر نفسه:(٢/١)

(٢) ينظر: خليل بن أحمد الفراهيدي.(ت:١٧٠هـ). *العين*. تح: مهدي المخزومي- إبراهيم السامرائي.(دار ومكتبة الهلال)،(١١٥/٧) مادة (صبر)، واسماعيل بن حماد الجوهري. (ت٣٩٣هـ). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. تح: أحمد عبد الغفور عطار.ط٤. (بيروت: دار العلم للملايين،١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م)،(٧٠٦/٢).

الحبسُ. يقالُ: صبّرتُ نفسي على ذلك الأمر، أي حبستها. وأما الثاني فقالوا: صُبرُ كلِّ شيءٍ: أعلاهُ. قالوا: وأصبارُ الإناءِ: نواحيه، والواحدُ صُبرٌ. وأما الأصل الثالث: فالصُّبرَةُ مِنَ الحِجارةِ: ما اشتدّ وغلُظَ، والجمعُ : صِبَارٌ"[١].

أما اصطلاحاً: فهو حبس النفس عما حرم الله تعالى، وحبسها على الفرائض التي فرضها الله تعالى، وحبسها عن التسخط والشكاية لأقدار الله تعالى[٢]. وقيل هو: ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله تعالى[٣]. وقال سهل التستري: "الصبر هو انتظار الفرج من الله تعالى" [٤]. وكذلك عرفه ابن القيم في مدارج السالكين بقوله: "هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عمّا يقتضيان حبسه عنه" [٥] .

المطلب الثاني: الصبر في القرآن الكريم والسنة النبوية

إنَّ الصبر من أكثر الأخلاق القرآنية التي عني بها القرآن الكريم في سورهِ المكية والمدنية، وهو الأكثر من بين الأخلاق القرآنية التي ذُكرت في القرآن الكريم.

كما يقول الإمام الغزالي في كتاب (الصبر والشكر) إنَّ الله تعالى قد ذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً [٦] .

---

(١) أحمد بن فارس. (تـ ٣٩٥هـ). *معجم مقاييس اللغة* . تح: عبد السلام محمد هارون. ط١. (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، (٣/٣٢٩- ٣٣٠).

(٢) ينظر: محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية. (تـ ٧٥١هـ). *رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه*. تح: عبد الله بن محمد المديفر.ط١. (الرياض: مطابع الشرق الأوسط، ١٤٢٠هـ)، ص (١٨).

(٣) ينظر: علي بن محمد الجرجاني. (ت:٨١٦هـ). *التعريفات*. تح: مجموعة علماء.ط١. (بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٠٣هـ -١٩٨٣م)، ص(١٣١).

(٤) محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي.(ت ٣٨٠هـ). *التعرف لمذهب أهل التصوف*. تح:أحمد شمس الدين .ط١. (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، ص(١١٢).

(٥) محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية. (تـ ٧٥١هـ). *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*.ط٢. (بيروت: دار الكتاب العربي،١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)، (٢/١٦٥).

(٦) ينظر: الغزالي، (٤/٦١) .

وينقل ابن القيم الجوزية في(مدارج السالكين) عن الإمام أحمد (رحمه الله): أنَّ الصبر قد ذكر في القرآن في نحو تسعين موضعاً [١] وقد سيق الصبر في القرآن على أنواع ذكرها ابن القيم في كتابه (عدة الصابرين) فمن تلك الآيات التي نذكر منها على سبيل الإيجاز:

١- الأمر به لقوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ ﴾ [٢].

٢- النهي عما يضاده لقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥ ﴾ [٣].

٣- ومن فضل الصبر في القرآن إذ جعله مناط الفلاح في الآخرة ودخول الجنة فقال تعالى:

﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢ ﴾ [٤].

٤- مضاعفة أجر الصابرين على غيرهم، لقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٥٤ ﴾ [٥] وقوله: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [٦].

---

(١) ينظر: ابن القيم الجوزية ، مدارج السالكين : ، (١/٢).
(٢) سورة الطور: الآية (٤٨).
(٣) سورة الاحقاف : الآية : (٣٥).
(٤) سورة الإنسان : الآية (١٢).
(٥) سورة القصص: الآية (٥٤).
(٦) سورة الزمر: الآية (١٠).

أما ما جاء في السنة النبوية في فضيلة الصبر:

١- عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):(إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإنَّ الله تعالى إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط)[١].

٢- وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس (رضي الله عنهما): ألا أريك امرأةً من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالت: إني أُصرع وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: "إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيكِ". فقالت: أصبرُ: فقالت: إني أتكشفُ، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها [٢].

٣- وعن أنس (رضي الله عنه) قال:(مرَّ النبي – صلى الله عليه وسلم- بامرأة تبكي عند قبر، فقال: اتقي الله واصبري. قالت: إليك عني؛ فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي (صلى الله عليه وسلم)، فأتت باب النبي (صلى الله عليه وسلم) فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى) [٣].

---

(١) أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي. (ت: ٢٧٩هـ) *الجامع الكبير= سنن الترمذي*. تح: بشار عواد معروف. (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨ م)، (١٧٩/٤) برقم(٢٣٩٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

(٢) محمد بن اسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ). *صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح*. تح: محمد زهير بن ناصر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.ط١. (دار طوق النجاة،١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)،(٢٥٢/١٤) برقم (٥٦٥٢) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٢٣/٣) برقم (١٢٨٣)، باب زيارة القبور، من حديث أنس .

٤- وعن أنس (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "إنَّ الله –عز وجل– قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه، فصبر عوضته منهما الجنة – يريد عينيه" [١].

٥- وعن أبي مالك الأشعري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم): (الصلاة نورٌ، والصدقةُ برهانٌ ، والصبرُ ضياء ، والقرآنُ حجةٌ لكَ أو عليكَ)[٢] .

الصبر: وهو من الفضائل التي حث عليها الإسلام والفلاسفة ، كما يذكر الإمام الغزالي أن الإيمان نصفان فالنصف الأول صبر والنصف الثاني شكر، كما هو وارد في الآثار وشهدت به الأخبار[٣].

ثم يذكر الغزالي الصبر والشكر هما وصفان من أوصاف وأسماء الله الحسنى؛ إذ سمى سبحانه نفسه صبوراً وشكوراً، فإذا جهل الإنسان حقيقة الصبر والشكر فقد جهل بكلا شطري الإيمان وهو غفلة ولا سبيل إلى الوصول للقرب من الله تعالى إلا عن طريق الإيمان[٤].

ونجد أنَّ الغزالي(رحمه الله) في تناوله لهذه الفضيلة وأهميتها في بناء النفس الإنسانية السليمة يمثل استعداداً للاتجاه الروحي الإسلامي فعن علي(رضي الله عنه)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤/٢٥٤)، برقم (٥٦٥٣)، باب فضل من ذهب بصره، من حديث أنس .

(٢) مسلم بن الحجاج النيسابوري.(ت:٢٦١هـ). *صحيح مسلم = المسند الصحيح* . تح: محمد فؤاد عبد الباقي. (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م) (١/٢٠٣)، برقم(٢٢٣)، باب فضل الوضوء، من حديث أبي مالك الأشعري .

(٣) مشيرا الى حديث انس الوارد عند شيرويه بن شهردار الديلميّ (ت:٥٠٩هـ) .*الفردوس بمأثور الخطاب*. تح: السعيد بن بسيوني زغلول. ط١. (بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) (١/١١١)، برقم(٣٧٨) من رواية يزيد الرقاشي عن أنس، ويزيد ضعيف، ذكر ذلك ابن حجر في التقريب (٥٩٩) .

(٤) ينظر: الغزالي، (٤/٦٠).

قال: إنَّ الصبر من الإيمان إنما هو بمنزلة الرأس من الجسد، ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له [١] . وكذلك نجد الجنيد(رحمه الله) عندما سُئلَ عن الصبر؟ قال: إنه تجرع المرارة من غير تعبيس [٢] .

ونرى أنّ الصبر قد عُدَّ من الإيمان لأنه رضاً بقضاء الله وقدره تعالى .

المطلب الثالث: بيان حقيقة فضيلة الصبر عند الغزالي

عقد الإمام الغزالي (رحمه الله) لموضوع الصبر عن طريق كتابه الإحياء كتاباً سمّاه (كتاب الصبر والشكر) وجعل هذه الفضيلة الأخلاقية تحت جزء المنجيات؛ فعند تناوله إلى هذه الفضيلة، نراه يبدأ في بيان النصوص النقلية ثمّ يردفها بالآثار المنقولة عن الصحابة الكرام ثمّ بأقوال العلماء، وبعدها يقوم بالتحليل ومن ثَمَّ الإخراج ما يراه مناسباً وتطريز المعلومات المهمة لهذه الفضيلة .فقد أفاد الإمام الغزالي (رحمه الله) في بيان حقيقة الصبر ما يلي:

أولاً: التجسيد العلمي لبيان حقيقة الصبر:

يبين الإمام الغزالي منزلة الصبر وأنه من مقامات الدين[٣]، وأنه من منازل السالكين، ويذكر أن جميع مقامات الدين تنتظم بثلاثة أمور: وهي المعارف والأحوال والأعمال. أما المعارف فهي الأصول التي تورث الأحوال، أما الأحوال فهي التي تثمر الأعمال، ثم يشبه الغزالي المعارف بالأشجار، والأحوال بالأغصان، أما الأعمال فهي ثمرة هذه المعارف وتلك الأحوال، وهذا هو حال ومنازل السالكين إلى الله تعالى.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ،(٦٢/٤).

(٢) ينظر: عبد الكريم بن هوازن القشيري.(ت٤٦٥هـ). *الرسالة القشيرية*.ط١.(بيروت :١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م)، ص(٢١٨).

(٣) المقام : وهو ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب؛ مما يتوصل إليه بنوع التصرف ويتحقق بمقاسات تكلف، والمقام: هو الإقامة كالمُدخل بمعنى الإدخال ، والمخرج بمعنى الإخراج .

ثم يخبر أن الصبر لا يمكن أن يتم إلا بمعرفة سابقة وبحال قائم، فالصبر خاصية الإنسان ولا يمكن أن تتصور في البهائم ولا في الملائكة؛ لأن البهائم قد سُلطت عليها شهواتها وأصبحت مسخرة لها فالباعث لها على الحركة والسكون هو الشهوة، وليس لها قوة الدفع التي تصادم الشهوة وتردها حتى تسمى تلك القوة وثباتها مقابلة تلك الشهوة صبراً[١].

أما بالنسبة للملائكة (عليهم السلام): فهم قد جُبلوا وجردوا شوقاً إلى حضرة الربوبية وقربهم منها، فهم لم تتسلط عليهم الشهوة الصارفة التي تصد عن حضرة الجلال والاكرام. وهذا يقابل العقول المفارقة بمفهوم الفلاسفة في تأملها وتقديسها للذات الإلهية فهي أيضاً مجردة عن الشهوات والملذات وكل ما يتعلق بالماديات [٢].

وأما الإنسان فقد خُلق في ابتداء الصبا ناقصاً لم يخلق لديه سوى شهوة الغذاء الذي هو محتاجه ثمّ تظهر فيه شهوة اللعب والزينة لديه، ثمّ شهوة النكاح على الترتيب وليس فيه قوة الصبر البتة، لأنّ الصبر عبارة عن ثبات جند باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فقام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما وليس في الصبي إلا جند الهوى كما في البهائم ولكن بفضل الله وسعة رحمته وجوده أكرم بني آدم وفضلهم ورفع درجتهم عن البهائم فوكل به بمقاربة البلوغ ملكين أحدهما يهديه والآخر يقويه فتميز بذلك عن البهائم واختصه بصفتين: الأولى معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله، والثانية معرفة المصالح المتعلقة بالعواقب، فإنّ البهيمة ليس لها معرفة ولا هداية لها بعواقب الأمور، فالإنسان صار بنور الهداية يعرف أنّ اتباع الشهوات له مغبات وعواقب مكروهة في العاقبة [٣]. وهذا يقابل تقسيم قوى النفس الإنسانية عند الفلاسفة إلى القوى الشهوانية والغضبية والعاقلة كما هو معلوم عند أفلاطون وأرسطو وجُلُّ فلاسفة ومفكري الإسلام، إذ قسّمَ أفلاطون النفس إلى ثلاث قوى فتقوم كل واحدة بذاتها، فتكون الأولى وسيلة للاتصال بعالم العقل، والثانية

(١) ينظر: الغزالي (٦٢/٤).
(٢) ينظر: أبو نصر الفارابي. *آراء المدينة الفاضلة*. ط٢. (لبنان: دار المشرق٢٠٠٠م) ص(٢٧).
(٣) ينظر: الغزالي، (٦٢/٤-٦٣).

للاتصال بعالم الحس، والأخيرة تربط بين الوجهين، وهذه التفرقة تعتمد على أنَّ مركز العقل هو الرأس، والغضب يكون مركزه وباعثه من القلب، وأما الشهوة فموطنها البطن[١] إذ يرى أنَّ كل نفس من هذه الأنفس الأولى والثانية في انعزال عن الأخرى والنفس الثالثة هي أداة الربط أو الجامعة بين النفسين، وهذا التقسيم قد وضعه أفلاطون – النفس العاقلة، والنفس الغضبية، والنفس الشهوية – فإذا كانت النفس العاقلة تتميز بخاصية الألوهية فهي أزلية خالدة، على عكس النفسين الأخريين الفانيتين[٢].

ونجد الصوفية يرون أن السير نحو السلوك الإنساني الصحيح يقتضي الصبر؛ لأنه إن لم يتخذ السالك مقام الصبر شعاراً له، فلن يصل لأي نتيجة. فالصبر هو من مقامات السالكين ومن صفات المؤمنين، ومن علامات المؤمنين فمن تحلّى بهذا المقام فقد فاز برضى رب العالمين[٣] والصبر كما قال عنه سهل التستري: هو انتظار الفرج من الله تعالى. وقال في قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[٤]

أي أطلبوا العون من الله واصبروا على أمره، واصبروا على أدب الله[٥].

---

(١) ينظر: حياة بن سعيد بن عمر بالخضر، "*النفس عند الفلاسفة الإغريق*" مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد: ٤٦(محرم –١٤٣٠هـ) ، ص(١٢٩).

(٢) ينظر: خشعي عبد النور "*فلسفة الأخلاق بين ابن مسكويه وأبو حامد الغزالي*" (رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠١٨م)، ص(١٠).

(٣) ينظر: عبد الفتاح محمد سيد أحمد. *التصوف بين الغزالي وابن تيمية*. ط١. (مصر: دار الوفاء، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م)، ص(٩٤).

(٤) سورة البقرة : الآية (٥٣).

(٥) ينظر: الكلاباذي ص(٦٤).

ويفرق ابن تيمية [١] (رحمه الله) بين الرضا والصبر: "فالرضا هو الصبر الجميل؛ لأنه صبر بلا شكوى؛ لأن الرضا أرقى من مقام الصبر؛ لأن الصبر مستراح العابدين وجنة الدنيا وباب الله العظيم. بينما الرضا أخصّ من الصبر؛ فهو يعني الرضا بكل الأحوال وعدم الشكوى وقبول النوازل بقبولٍ تام ونفسٍ راضية، وهذا المقام لا يسلكه إلا القليل من أصحاب السلوك" [٢].

ثانياً: تحقيق الصبر نصف الإيمان:

فقد حقق الإمام الغزالي (رحمه الله) معنى بأنّ الصبر هو نصف الإيمان عن طريق تعليلها باعتبارين مهمين فقال: أما الأول: فهو باعتبار إطلاقه على التصديقات والأعمال جميعاً فيتضح للإيمان ركنان أحدهما اليقين والآخر هو الصبر. ويراد باليقين المعارف القطعية التي تحصل للعبد بهداية الله إلى أصول الدين، ومراد الصبر إنما هو العمل بمقتضى اليقين، إذ اليقين يعرّفُ أنّ الطاعة نافعة والمعصية ضارة، ولا يمكن ترك المعصية ومواظبة الطاعة والتمسك بها إلا بالصبر، وهو استعمال الباعث الديني لقهر باعث الهوى والكسل، وبهذا الاعتبار يكون الصبر نصف الإيمان، ولهذا جمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بينهما فقال: "من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أُعطي حظه منهما لم يبالي بما فاته من قيام الليل وصيام النهار" [٣].

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي، ولد في حران سنة ٦١١هـ من مصنفاته مجموع الفتاوى والاستقامة وغيرها توفي في دمشق في السجن سنة ٧٢٨هـ. ينظر: أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ). *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*. ط٢. تح: سيد جاد الحق. (حيدر آباد- الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م)،(١٤/١).

(٢) ينظر: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. (ت: ٧٢٨ هـ). *جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن*. (القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٧٥هـ) ص(٢٤).

(٣) قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار(٨٧/١): "لم أقف له على أصل" .

أما الاعتبار الثاني فيطلق على الأحوال المثمرة للأعمال وليس على المعارف وعندها ينقسم كل ما يلاقيه العبد لما ينفعه في الدنيا والآخرة أو ما يضره فيهما فإلى ما يضره حال الصبر وإلى ما ينفعه حال الشكر، فبهذا الاعتبار يكون الشكر أحد شطري الإيمان، وعلى هذا الأساس قال ابن مسعود (رضي الله عنه): الإيمان نصفان ؛ نصف صبر ونصف شكر [١].

فالصبر عند الغزالي إنما هو صبرٌ عن باعث الهوى بقوة وثبات باعث الدين، ويقسم الغزالي باعث الهوى قسمين: باعث من جهة الشهوة، وباعث من جهة الغضب فأما باعث الشهوة فيطلب كل ما هو لذيذ فيتلذذ به في الحال، وأما باعث الغضب فهو للهرب من المؤلم، ولما كان الصوم هو صبرٌ عن مقتضى شهوة البطن والفرج غير باعث الغضب قيل بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر[٢].

ونجد الغزالي (رحمه الله)هنا يبين حقيقة الإيمان ولا يختلف مع المتكلمين الذين يرون أن الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان والمراد من التصديق إنما هو تصديق النبي (صلى الله عليه وسلم) وما جاء به من الدين بالضرورة أي: فيما أشتهر أنه من الدين، بحيث يُعمل به من غير الافتقار إلى النظر والاستدلال، كوحدة الصانع وأداء الواجبات كالصلاة وحرمة الخمر وغير ذلك[٣].

ونجد فلاسفة الإسلام وفلاسفة اليونان قد تناولوا فضيلة الصبر في مؤلفاتهم التي تعني بالآداب والأخلاق والرقائق، فمن فلاسفة ومفكري الإسلام الذين تناولوا هذه الفضيلة:

---

(١) ينظر: الغزالي ،(٦٣/٤).

(٢) المصدر نفسه (٦٦/٤).

(٣) ينظر: قحطان عبد الرحمن الدوري،. *العقيدة الإسلامية ومذاهبها*. ط٢.(بيروت: دار ناشرون ، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢ م)، ص(٣٤٣).

-**ابن مسكويه**[١]: رحمه الله(ت٤٢١هـ) فقد نقل في كتابه (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) إذ تناول من بين تلك الأخلاق الصبر؛ الذي خُصّص في كتابه الفضائل وجعل الصبر تحت فضائل العفة وعدّ الصبر من جملتها وقد بيّن مراده من الصبر وتعليل جعله تحت ظل فضائل العفة؛ كون الصبر يجعل الإنسان عفيفاً عن ممارسة القبائح . بدليل قوله: الفضائل التي تحت فضيلة العفة: الحياء، والدعة، والصبر، والسخاء، والحرية، ثم يذكر الصبر: وأما الصبر فهو مقاومة النفس عن الهوى لكي لا تنقاد لقبائح اللذات[٢]. ثم جعل الصبر في مواطن أُخر تحت ظل الشجاعة، وبين الفرق بين الصبرين بدليل قوله: الفضائل التي تأتي تحت فضيلة الشجاعة: هي كبر النفس، والنجدة، وعظم الهمة، والثبات، والصبر، والحلم، وعدم الطيش، والشهامة واحتمال الكد، والفرق بين الصبر والصبر الذي تحت فضيلة العفة أنّ هذا يكون في الأمور الهائلة وذلك يكون في الشهوات الهائجة [٣].

- **ابن حزم**[٤](رحمه الله): فقد ذكر بأنّ الصبر أقسام بينها ثمّ بين القسم الذي ينطوي تحت ظل الفضيلة فقال: الصبر على الجفاء يقسم على ثلاثة أقسام: فصبرٌ عن من هو يقدر عليك وأنت لا تقدر عليه، وصبرٌ عن من تقدر عليه وهو لا يقدر عليك، وصبرٌ على من لا تقدر عليه ولا يقدر هو عليك. فالأول يعتبره ذلٌ ومهانةٌ فهو ليس

---

(١) أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، أبو علي: مؤرخ باحث، أصله من الري وسكن أصفهان وتوفي بها اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق وغيرها، من مصنفاته: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، والفوز الأصغر وغيرها، (ت:٤٢١هـ)، ينظر: الزركلي

(٢) ينظر: أحمد بن محمد ابن مسكويه (ت٤٢١هـ). *تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق*. تح: ابن الخطيب.ط١. (مكتبة الثقافة الدينية ،٢٠١١م)، ص (٢٨).

(٣) ينظر: المصدر نفسه: (ص٣٠).

(٤) وهو: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان القرطبي، الفقيه الحافظ، المتكلم، الأديب، ولد بمدينة قرطبة سنة(أربع وثمانين وثلاث مائة) ، كانت أسرته من الأسر التي صنعت تاريخ الأندلس، نشأ شافعي المذهب ثم انتقل إلى المذهب الظاهري حتى عرف بابن حزم الظاهري، من مؤلفاته: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، وطوق الحمامة وغيرها ، (ت:٤٥٦هـ) . ينظر: الذهبي:(١٨/١٨٤) برقم ٩٩.

من الفضائل، والثاني هو فضلٌ ومن البرّ وهو الحُلُم على الحقيقة، وهذا يوصف به الفضلاء، والثالث يُقسمُ قسمين: ما يكون الجفاء ممن وقع منه على سبيل الغلط والوهلة ويعلم قُبح الذي أتى به ونادمٌ عليه، فالصبر على مثل هذا فضلٌ وفرضٌ، وهو الحلم على الحقيقة، وأما الذي لا يعرف مقدار نفسه وهو يظن أن لها حقاً يستطيل به، فعليه أن لا يندم لما سلف منه، فهنا الصبر عليه يعتبر ذلٌ للصابر وفسادٌ للمصبور عليه(١).

وذكر الغزالي (رحمه الله) في الإحياء أن خُلق العفة يصدر منه السخاء والحياء والمسامحة والصبر والقناعة واللطافة والمساعدة والورع والظرف وقلة الطمع، وأما إذا مالت إلى الإفراط أو التفريط فيحصل من خلق العفة حرص وشَرَهٌ ووقاحة وخبثٌ وتبذير وتقتير ورياء والحسد وتذلل للأغنياء واستحقار للفقراء وغير ذلك، فأمهات محاسن الأخلاق هي أربعة (الحكمة والشجاعة والعدل والعفة وباقي الفضائل تعد من فروعها(٢).

ونجد أن الغزالي هنا يتفق مع الفلاسفة في أصل الفضائل هي أربعة فنجد أفلاطون مثلاً يقسّم الفضائل الرئيسة إلى (الحكمة والشجاعة والعدل والعفة). وتابعه على ذلك التقسيم مسكويه وابن حزم: فنجد أنّ مسكويه في كتابه (تهذيب الأخلاق) يذكر أنه متى كانت النفس الغضبية معتدلة وتطيع النفس العاقلة فلا تهيج ولا تحمى حدثت فضيلة الحُلم، ثمّ تتبعها فضيلة الشجاعة، ثمّ باعتدال هذه الفضائل الثلاث تحدث فضيلة العدالة. فلذلك أجمع الفلاسفة على أن أصول الفضائل هي أربع وهي (الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة) فلا يفتخر أحد إلا بهذه الفضائل (٣).

أما فلاسفة اليونان فقد تناولوا حقيقة الصبر وبيانه وقد تُجمع مقالاتهم على ما قال به سقراط الذي يعتبر من أوائل الفلاسفة اليونانيين الذي له اسهاماته المشهورة

---

(١) ينظر: علي بن أحمد ابن حزم.(ت٤٥٦هـ). *رسائل ابن حزم الأندلسي*. تح: إحسان عباس. ط١. (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٨٠م)، ص(٣٤٨).

(٢) ينظر: الغزالي (٥٥/٣).

(٣) ينظر: ابن مسكويه، (ص٢٤).

في مجال الأخلاق؛ فبين أنَّ الفضائل العقلية تُكتسب عن طريق التعلم، بينما الفضائل الخُلقية فهي تُكتسب عن طريق العادة والتمرن والأُلف، لذا يجب أن يكون أول عمل المشرع هو إنشاء مواطنين صالحين بتكوين عادات صالحة، فيوصف الإنسان صابراً إذا أدى أعمالاً تتصف بالصبر وأيضاً الأمر كذلك بالنسبة للفضائل الأخرى.

ويرى أرسطو أننا إذا اكتسبنا عادات صالحة يمكننا بمرور الوقت الحصول على متعة حقيقية من جراء الأعمال الصالحة فهنا يربط أرسطو بين اللذة والفضيلة؛ فجعل أساس كل فضيلة هي العلم، أي أنّ متى عَلِمَ الإنسان الخير فعله، ومتى عرف الشر تركه. وهو بهذا بيّنَ أن لابد من وجود مقدمات معرفية تبين له الخير وما يرتبط به من الأعمال، والعلم بمكامن الشر وما يرتبط به، وبهذا قال لا تُنال الفضائل ألا بأساس العلم(١).

ويعدُّ كتاب أرسطو (علم الأخلاق إلى نيقوماخوس) من أهم مصادر تعاليم أرسطو الأخلاقية، أّنه تناول تلك الفضائل بوضوح فيبين أن فضيلة الصبر من الفضائل الخلقية التي يمكن اكتسابها بالتعود والممارسة والإرادة الواعية؛ وأنّ الأخلاق ليست طبعاً وإنما هي تَطبّع وأنها ليست موهبة وبيّن أنها لا تكون فينا بالطبع، ولكن يحللها على أنّ النفس البشرية تكون مهيأة لاكتسابها؛ واعتبر التهيؤ لا يكون إلا بالقوة وإنما يستكمل ويصير بالفعل بحكم التعليم والتمرن والتدريب(٢).

ويقرب الغزالي من هذا الرأي في أساس الصبر، لكن يشترط أن تصل المعرفة إلى اليقين لكي يثمر الصبر. وفي هذا المعنى يقول الغزالي ترك الأعمال التي تشتهيها النفس هو عمل يثمره حال يسمى بالصبر: وهو ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة، وثبات باعث الدين حالٌ أثمرتها المعرفة بعداوة الشهوات وأضدادها لأسباب السعادة في الدنيا والآخرة، فإذا قوي يقين المعرفة التي نسميها

(١) ينظر: محمد كمال إبراهيم جعفر. *في الفلسفة والأخلاق* . (دار الكتب الجامعية،١٩٦٨م)، (ص١٩٠).

(٢) ينظر: المصدر نفسه : (ص١٨٩).

إيماناً، وهو بكون الشهوة عدواً قاطعاً لطريق الله قوي هنا باعث الدين وإذا قوي ثبات الدين تمت له الأفعال بخلاف ما تتقاضاه الشهوة[١].

وبهذا نجد أنَّم مفهوم الصبر عند الغزالي هو أوسع وأعمق مما هو عند الفلاسفة وذلك لأنه احتوى مما لديهم من أفكار ونظريات ثمَّ عزّزه وفقاً لمنظور الدين الإسلامي بما تجسد من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية .

المطلب الرابع: التغييرات التي طرأت على مسمّى الصبر

يبين لنا الإمام الغزالي أن للصبر ضربان: الأول ضرب بدني، وهو كالذي يتحمل المشاق ببدنه ويصبر عليها، وهي إما بالفعل كالأعمال الشاقة من العبادات أو غيرها. وإما بالاحتمال كالصبر على تحمّل المرض العظيم أو الضرب الشديد أو الجراحات الهائلة وهذا صبرٌ محمودٌ إذا وافق الشريعة[٢].

وهنا نجد الغزالي (رحمه الله) يشترط أن يكون الصبر موافقاً للشريعة ليكون محموداً. أما المحمود التام هو الصبر النفسي عن مشتهيات الطباع ومتطلبات الهوى، فهذا إذا كان صبراً على شهوة الفرج والبطن سمي ذلك الصبر(عفة)، وهنا يساوي الغزالي بين الصبر وبين العفة ومن المعلوم أن العفة من الفضائل الرئيسة الأربعة.

فيذكر ابن مسكويه (رحمه الله) في كتابه (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) أنه تناول من بين تلك الأخلاق الصبر؛ الذي خُصص في كتابه الفضائل وجعل الصبر تحت فضائل العفة كون الصبر يجعل الإنسان عفيفاً عن ممارسة القبائح. بدليل قوله: الفضائل التي هي تحت العفة: وهي الحياء، والدعة، والصبر، والسخاء، والحرية، وأما الصبر فيقول هو مقاومة النفس للهوى لئلا تنقاد وتسير نحو قبائح اللذات [٣]. وإذا كان على تحمل مكروهٍ ما فتختلف أسماؤه عند الناس بحسب اختلاف المكروه الذي وجب له الصبر وهي كالآتي:

---

(١) ينظر: الغزالي، (٦٣/٤) .

(٢) ينظر: المصدر نفسه، (٦٧/٤).

(٣) ينظر: ابن مسكويه، (ص٢٨).

١- إن كان هذا الصبر في مصيبة وقعت اقتصر على اسم الصبر وضده حالة تسمى الهلع والجزع، وهنا يترك داعي الهوى فلا يرفع صوتٌ ولا يتضجر ولا يضرب خدٌ ولا يشقُّ جيباً .

٢- وإن كان هذا الصبر في تحمل الغنى والسيطرة عليه سمي ذلك الصبر ضبط النفس، وضده حالة يسميها الغزالي (البطر).

٣- وإن كان هذا الصبر في الحرب ومقاتلة أعداء الله سمي (شجاعة) وضده الجبن .

٤- وإن كان هذا الصبر في كظم الغيظ والغضب سمي ذلك الصبر (حُلماً) وضده التذمر.

٥- وإن كان صبراً على نائبةٍ من نوائب الزمن سمي ذلك (سعة الصدر) وضده الضجر والتبرم وضيق الصدر.

٦- وإن كان فضولاً عن العيش يسمى (زهداً) وضده الحرص .

٧- وإن كان صبراً على القدر اليسير من حظوظ الدنيا سمي ذلك الصبر (قناعة) وضده الشره[١].

فقد بين الإمام الغزالي (رحمه الله) أن أكثر أخلاق الإيمان مدارها على الصبر، لذلك لما سُئل (صلى الله عليه وسلم) مرّةً ما الإيمان؟ فقال: "هو الصبر"[٢]، لأنه أكثر الأعمال وأعزها كما قال (عليه الصلاة والسلام): "الحج عرفة"[٣].

والله سبحانه وتعالى قد جمع كل هذه الاقسام وسمى الكل صبراً فقال سبحانه:﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ

(١) ينظر: الغزالي (٦٧/٤) .

(٢)الديلميّ (٤٥٠/٢) من رواية يزيد الرقاشي وقد مرّ معنا كلام ابن حجر فيه وتضعيفه له .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٩/٢) برقم (٨٩٩)، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج، من حديث عبد الرحمن بن يعمر.

هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [١] أي في المصيبة وفي الفقر:﴿ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾ أي في الحرب فهذه أقسام الصبر مع اختلاف متعلقاتها[٢].

وهنا نجد الغزالي (رحمه الله) يجعل من الصبر فضيلة مهمة ورئيسة ويرتبط بالفضائل الأخلاقية بحسب تعلقاته . كما نجده يعالج فضيلة الصبر من منظور ديني صرف لأن مدار الإيمان والالتزام الديني والأخلاقي يدور على الصبر والتحمل.

المطلب الخامس: أقسام الصبر عند الغزالي

يبين الإمام الغزالي بأن باعث الدين وباعث الهوى له أحوال ثلاثة:

الحالة الأولى: لابد للصابر أن يقهر دواعي الهوى فلا يبقى له قوة المنازعة ويصل إلى ذلك بدوام الصبر، والذين يصلون إلى هذه الرتبة هم قليل فإنهم هم الصدّيقون المقربون، فهم الذين لازموا الطريق المستقيم وساروا على صراط الله القويم فاطمأنت نفوسهم بمقتضى باعث الدين فهم الذين يناديهم المنادي:﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ [٣].

الحالة الثانية: إذا غلب داعي الهوى وسقط بالكلية باعث الدين وسلم نفسه لجند الشياطين ولم يجاهد نفسه ليأسه من المجاهدة، فهؤلاء هم الغافلون وهم كثيرون وهؤلاء الذين غلبت عليهم شقوتهم فجعلوا أعداء الله حكماً على قلوبهم فأشار القرآن إليهم بقوله تعالى:﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٖ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[٤] .

(١) سورة البقرة :الآية ١٧٧.
(٢) ينظر: الغزالي، (٦٧/٤).
(٣) سورة الفجر : الآيات (٢٧-٣٠).
(٤) سورة السجدة : الآية (١٣).

الحالة الثالثة : أن تكون الحرب بين جند الهوى وباعث الدين سجالاً بين الفريقين وهذا يعد من المجاهدين وأهل الحالة هذه هم الذين: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٠٢ ﴾ [١]، فهذه اقسام الصبر باعتبار ضعفه وقوته[٢].

ونجد الغزالي هنا يقسم الناس إلى ثلاثة أقسام وكما وصفهم الله تعالى في محكم كتابه العزيز:﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ ﴾[٣] .

يقول ابن عباس في تفسير هذه الآية:(السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد – صلى الله عليه وسلم– ، وروي عن غير واحد من السلف: أنَّ الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين، على ما فيه من عوج وتقصير. ثمَّ قال ابن عباس والحسن وقتادة: هذه الأقسام الثلاثة كالأقسام المذكورة في أول سورة {الواقعة} وآخرها. والصحيح والراجح: أن الظالم لنفسه من هذه الأمة وهذا هو اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية الكريمة) [٤].

---

(١) سورة التوبة : الآية (١٠٢).

(٢) ينظر: الغزالي (٦٨/٤).

(٣) سورة فاطر : الآية (٣٢).

(٤) إسماعيل بن عمر ابن كثير. (ت: ٧٧٤هـ). *تفسير القرآن العظيم*. تح: سامي بن محمد سلامة.ط٢. (دار طيبة ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م)، (٥٤٧/٦).

أما الإمام القشيري[١] (رحمه الله) في رسالته فيقسّمُ الصبر إلى أقسام: الأول صبرٌ على ما هو بكسبٍ للعبد، والثاني صبرٌ على ما ليس بكسب للعبد. أما الأول الصبر على المكتسب فهو على قسمين: **الأول** : الصبر على أوامر الله تعالى، والآخر صبرٌ على نواهي الله تعالى.

أما الثاني: الصبر على ما ليس بالمكتسب للعبد: فهو صبره على مقاساة لما يتصل به من مشقة من حكم الله تعالى وكذلك ألم القلب والجسد [٢].

بينما نجد الغزالي (رحمه الله) يقسم الصبر من حيث اليسر والعسر إلى ما به مشاق على النفس فلا دوام على الصبر إلا ببذل الجهد الجهيد والتعب الشديد حتى يسمى ذلك تصبراً، فإذا داوم العبد على تقواه وقوي عنده التصديق لما في الآخرة من الحسنى تيسر له الصبر لذلك يقول الله تعالى:﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [٣] . ويضرب الغزالي (رحمه الله) مثلاً ويقول إنّ الرجل القوي قادر على أن يصرع الضعيف بأيسر قوة، من غير أن يلقى في مصارعته إعياء ولا تعب، لكنه لا يقوى على مصارعة الشديد إلا بتعب وجهد مزيد وعرق جبين، فهكذا هي المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فهو صراع بين جند الملائكة وبين جند الشيطان، فإذا أُرغمت الشهوات وأُذعنت وتسلط عليها باعث الدين واستولى عليها وصار الصبر يسيراً بطول المواظبة فإنه يورث عند العبد مقام الرضا وهو أعلى من

(١) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوري القشيري، من بني قشير ابن كعب، أبو القاسم، زين الإسلام: شيخ خراسان في عصره، زهدا وعلما بالدين. كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها سنة ٤٦٥هـ . وكان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكرمه. من كتبه «التيسير في التفسير» ويقال له «التفسير الكبير» و «لطائف الإشارات » ثلاثة أجزاء منه، والرسالة القشيرية.

(٢) ينظر: القشيري، (ص٢١٩).

(٣) سورة الليل: الآيات، (٥-١٠) .

الصبر[١] ولهذا قال (صلى الله عليه وسلم) "واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وأن النصر مع الصبر "[٢].

ومن هنا يتبين لنا أن الغزالي (رحمه الله) يؤمن بأنّ الأخلاق الفاضلة ومنها الصبر من الكيفيات التي تكتسبها النفس الإنسانية بالتمرن والرياضة والتدريب ويستشهد على رؤيته هذه من القرآن الكريم فيذكر قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾[٣]

وهو بذلك يتفق مع الفلاسفة الإغريق في هذا الشأن. فمسكويه على سبيل المثال يرى أيضاً بأن الأخلاق الفاضلة تكتسب بالتمرن والرياضة.

ويبين الغزالي (رحمه الله) أن الصبر باعتبار حكمه ينقسم إلى فرض على المحظورات الشرعية، والصبر على المكاره نفلٌ، والصبر على أذى محظور كمن تقطع يده أو يقع الأذى بولده وهو ساكت فهذا صبرٌ محرمٌ، أو من يصبر على من يقصد حريمه بشهوة محظورة فيصبر عن إظهار غيرته ويسكت ويصبر فهذا الصبر محرم[٤].

ونجد ابن حزم (رحمه الله): قد قسّم الصبر إلى أقسامٍ فبينها ثمّ بين القسم الذي ينطوي تحت ظل الفضيلة فقال: الصبر على الجفاء يقسم على ثلاثة أقسام: فصبرٌ عن من هو يقدر عليك وأنت لا تقدر عليه، وصبرٌ عن من تقدر عليه وهو لا يقدر عليك، وصبرٌ على من لا تقدر عليه ولا يقدر هو عليك. فالأول يعتبره ذلٌ ومهانةٌ فهو ليس من الفضائل، والثاني هو فضلٌ ومن البرٌ وهو الحُلُم على الحقيقة، وهذا يوصف به الفضلاء، والثالث يُقسمُ قسمين: ما يكون الجفاء ممن وقع منه على

(١) ينظر : الغزالي ، (٦٨/٤)
(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٩/٥) برقم (٢٨٠٣) من حديث ابن عباس.
(٣) سورة الليل : الآية (٥-١٠).
(٤) ينظر: الغزالي، (٦٩/٤).

سبيل الغلط والوهلة ويعلم قُبح الذي أتى به ونادمٌ عليه، فالصبر على مثل هذا فضلٌ وفرضٌ، وهو الحلم على الحقيقة، وأما الذي لا يعرف مقدار نفسه وهو يظن أن لها حقاً يستطيل به، فعليه أن لا يندم لما سلف منه، فهنا الصبر عليه يعتبر ذلٌ للصابر وفسادٌ للمصبور عليه(١).

المطلب السادس: بيان حاجة العبد للصبر وأنه لا يستغني عنه بأي حال من الأحوال

يرى الغزالي أن كل ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من أمرين:

الأمر الاول:

وهو الذي يوافق هوى العبد كالصحة والمال والسلامة والجاه وجميع ملاذ الدنيا، فهنا يحتاج العبد إلى الصبر على كل هذه الامور فإن العبد إن لم يضبط نفسه عن الانهماك والاسترسال في ملاذها المباحة فإن ذلك قد يخرجه إلى البطر والطغيان، واقبال المرء على المكاره وإدباره عن الشهوات لا يأتي إلا لمن اتصف بالصبر الذي هو أثر اليقين الذي يرضي الله تعالى فهو روح العفاف قال تعالى:﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ ﴾ (٢)، إذ ذكر بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها إلا صديق، فحين فتحت أبواب الدنيا على الصحابة رضي الله عنهم قالوا: ابتلانا الله بفتنة الضراء فصبرنا، وابتلانا بفتنة السراء فلم نصبر(٣).

والصبر من دعائم الإيمان المهمة في حياة المسلم، ويظهر هذا واضحاً في ما يعمله الإنسان سواء كان هذا العمل في أمر دينه كالعبادات، أو أمر دنياه كسعيه في طلب رزقه فهذه كلها يكون الإنسان فيها بحاجة إلى الصبر، فلا يتم أداء الفريضة ولا تترك المعصية إلا بالصبر، ويذهب ابن تيمية (رحمه الله) بقوله بأن الصبر عن

(١) ينظر: ابن حزم ، (ص٣٤٨).

(٢) سورة العلق : الآية : (٦-٧) .

(٣) ينظر: الغزالي، (٦٩/٤).

المعاصي أشد معاناة وأكبر درجة من الصبر على المصائب، فالصبر عن المعاصي هو صبر المتقين ويستشهد بقصة يوسف (عليه السلام) لأنه فضل السجن على معصية الله تعالى، فكان هذا التفضيل أعلى درجة من صبره على ظلم إخوته، لذلك عظمه القرآن لموقفه الأول وهو الصبر على المعاصي فقال سبحانه وتعالى ممتناً عليه:﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾[١] لهذا يقول سهل التستري: أفعال البر يفعلها البَرُّ والفاجر ولا يصبر عن المعصية إلا من هو صديق[٢].

النوع الثاني: ما يخالف الهوى والطبع: وهو ما يرتبط باختيار العبد للطاعات أو المعاصي، أو غير مرتبط باختياره كالنوائب والمصائب، فما يرتبط باختياره في سائر أفعاله بوصفها طاعة أو معصية فهما ضربان :

الضرب الأول: الصبر على الطاعة، فالعبد يحتاج أن يصبر على طاعة ربه لأن النفس تنفر بطبعها عن العبودية وتريد الربوبية، قال بعض العارفين: ما من نفس ألا وهي تخفي وتضمر ما أعلنه فرعون من قوله تعالى:﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾[٣] لكن فرعون رأى أن له مجالاً وقبولاً فأبدى ما أضمر إذ استخف قومه فأطاعوه، فالعبودية شاقة على نفس الإنسان بالإطلاق، فهناك من العبادات ما تكرهه النفس بسبب الكسل مثل الصلاة ، ومنها الزكاة بسبب البخل، ومنها ما تكره بسبب الكسل والبخل وهما الحج والجهاد[٤].

الضرب الثاني: وهي المعاصي، فعلى العبد أن يصبر عن فعلها، فأشد أنواع الصبر هو الصبر عن المعاصي التي أصبحت عادة مألوفة، فإذا ضيفت العادة الى الشهوة ظهر لنا جندان من جنود ابليس فلا يستطيع باعث الدين على قمعها، فإذا كان

(١) سورة يوسف: الآية (٢٤).
(٢) ينظر: سيد أحمد: (ص٢٣٠).
(٣) سورة النازعات : الآية (٢٤).
(٤) ينظر : الغزالي، (٤/٧٠).

الفعل ميسر للعبد فعله كان الصبر عنه ثقيل عل النفس، مثل الصبر على معاصي اللسان من الكذب والغيبة والمراء والإعجاب بالنفس والثناء عليها، فهذا في ظاهره غيبة وفي الباطن ثناء على النفس(١).

وقريبٌ من هذا التقسيم للصبر نجد ابن القيم الجوزية يقسم الصبر باعتبار متعلقه إلى ثلاثة أقسام : الأول الصبر على أداء الأوامر والطاعات، والثاني الصبر عن الوقوع في المناهي والمخالفات الشرعية، الصبر عن التسخط على أقدار الله وقضاؤه التي تصيب الإنسان، فإن الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات، فالمصلحة في فعل الطاعة أحبُّ إلى الشارع من مصلحة اجتناب المعصية (٢).

ويذكر الغزالي قولاً لعيسى (عليه السلام) في الإنجيل: قال عيسى ابن مريم (عليه السلام) : لقد قيل لكم من قبل: إن السن بالسن والأنف بالأنف، وأنا أقول لكم: لا تقاوموا الشر بالشر، بل من ضرب خدك الأيمن فحول إليه الخد الأيسر، ومن أخذ ردائك فأعطه إزارك، ومن سخرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين. إذن: الصبر على الأذى الذي يحصل من الناس هو من أعلى مراتب الصبر، لأن فيه تعاون باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعاً (٣).

ولهذا قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أعظم أجرا من الذي لا يخالطهم، ولا يصبر على أذاهم" (٤). أما ابن مسكويه فنجده يرفض العزلة وعدم مخالطة الناس بحجة الزهد والخلوة فيقول أن الإنسان لا يكتفي بنفسه في تكميل ذاته. بل لابد له من إعانة قوم كثيرون ليتمم بهم حياته الطيبة ويجري أمره على السداد كما قال الحكماء أن الإنسان مدنيُّ الطبع فهو محتاج الى مدينة فيها أناس كثير لكي تتم له السعادة الإنسانية فكلٌ محتاجٌ إلى غيره

(١) ينظر: المصدر نفسه، (٧١/٤).
(٢) ينظر: ابن القيم الجوزية ، مدارج السالكين (١٥٣/٢).
(٣) ينظر: الغزالي، (٧٢/٤).
(٤) أخرجه أحمد في مسنده برقم(٦٤/٩)، (٥٠٢٢) من حديث ابن عمر.

بالضرورة لذلك هو مضطرٌ إلى معاشرة الناس المعاشرة الحسنة لأنهم يكملون ذاته، فإذا كان كذلك الطبع والضرورة كيف يؤثر الانسان العاقل التفرد والتخلي فلا يتعاطى ما يرى الفضيلة في غيره، فمن رأى الفضيلة في الزهد وعدم مخالطة الناس وتفردوا بملازمة المغارات في الجبال أو ببناء الصوامع في المفاوز أو في السياحة في البلدان فهؤلاء لا يحصل لهم من الفضائل الإنسانية شيء لأن من لم يخالط الناس ولم يساكنهم في مدنهم فلا تظهر فيهم العفة ولا النجدة ولا العدالة ولا السخاء بل تصير قواهم وملكاتهم التي ركبت فيهم باطلة فلا تتوجه إلى الخير ولا إلى الشر، لذلك نتعلم الفضائل التي نساكن بها الناس ونخالطهم ونصبر على الأذى الذي يصدر منهم لنصل إلى السعادات الأُخر [١].

ويستمر الإمام الغزالي بسرد أنواع الصبر، ويذكر منها: الصبر على المصائب كموت الأعزة وزوال العافية وهلاك الأموال وفساد الأعضاء وعمى العين، فالصبر على مثل ذلك من أعلى مقامات الصبر. وقد أشار الكندي لهذا الموضع فقال إنَّ الصبر على ألم الحزن الذي يعرض لفقد المحبوبات وفوت المطلوبات من فقدان في الأهل أو فقدان في المال فهذه هي أسباب الحزن، إذ هو عارضٌ لفقد محبوب أو فوت مطلوب، وهذه لا يمكن كما يقول الكندي أن يعرى منها أحد فلا يمكن أن ينال أحدٌ جميع مطلوباته، ولا يسلم من فقد ما يحب من الأهل والمال، وذلك لأنَّ الثبات والدوام معدوم في هذا العالم (عالم الكون والفساد)، ويشير الكندي إلينا أن نتذكر أنَّ ما فاتنا وما فقدناه قد فاته وفقده كثيرٌ من الخَلق كلهم قد قنع بفوته وفقدانه وهو إشارة إلى الصبر بظاهر البهج وبعيد عن الحزن. فمن مات له ولده أو حُرِمَ من الولد فقد شابه كثير من الخلق فينبغي علينا أن لا نضع لأنفسنا الأشياء الرديئة إذ الحزن من الردائة على ما قدّمنا[٢].

---

(١) ينظر: ابن مسكويه، (ص١٠).

(٢) ينظر: يعقوب بن إسحاق الكندي.*الحيلة في دفع الأحزان*. تح: محمد عبد الهادي أبو ريدة. (دار الفكر العربي للنشر،١٣٣٦هـ- ١٩٥٠م) ص(١٠).

وكذلك الحال عند أبي بكر الرازي[١] إذ يرى أنّ من أراد دوام الشيء فقد رام المستحيل، ومن طلب ما لا يمكن وجوده فقد جلب لنفسه الغم والهم واتّبع هواه [٢] وهنا نجد الاتفاق بين ما يذهب إليه الرازي وبين ما ذهب إليه الكندي من استحالة نيل الإنسان لكل ما يريده وكل ما يتمناه [٣] .

كما يشير ابن عباس رضي الله عنهما أن الصبر في القرآن على أوجه ثلاثة: صبر على أداء الفرائض الشرعية فله ثلاث مئة درجة، وصبر عن ما حرم الله فله ستمائة درجة، وصبر عند الصدمة الأولى على المصيبة فله تسعمائة درجه، وهذه الرتبة فضلت على التي قبلها مع أنها جميعاً من الفضائل وهي من الفرائض لأن الصبر عن المحارم يقدر عليه كل مؤمن أما الصبر على بلاء الله سبحانه وتعالى فلا يقدر عليه إلا الأنبياء لأن ذلك شديد على النفس وهو بضاعة الصديقين ، ولهذا قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "ومن اليقين ما تهون علينا به مصائب الدنيا" [٤] فهذا الصبر يستند على حسن اليقين[٥].

(١) محمد بن زكريا الرازي، أبو بكر: فيلسوف، من الأئمة في صناعة الطب. من أهل الري. ولد وتعلم بها. وسافر إلى بغداد بعد سن الثلاثين، أولع بالموسيقى والغناء ونظم الشعر، في صغره. واشتغل بالسيمياء والكيمياء، ثم عكف على الطب والفلسفة في كبره، توفي ببغداد سنة (٣١٣هـ) .

(٢) ينظر: أبو بكر محمد بن زكريا الرازي .*رسائل فلسفية*. نشره : بول كراوس، ط٤. (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠م)، ص(٦٨).

(٣) ينظر: الكندي، ص(٧).

(٤) أحمد بن عمرو البزار. (ت:٢٩٢هـ). *مسند البزار = البحر الزخار*. تح: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون.ط١. (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، من ١٩٨٨م الى ٢٠٠٩م) ،(٢٤٣/١٢) (٥٩٨٩) من حديث نافع.

(٥) ينظر: الغزالي، (٧٢/٤).

وبناءً على ذلك قال (صلى الله عليه وسلم): "ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول كما أمر الله تعالى: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾[١] اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا أخلف الله له خيرا منها"[٢] .

وعن طريق عرض أقوال العلماء ومنهم الإمام الغزالي(رحمه الله) في فضيلة الصبر تبين أن أقوال العلماء من المسلمين يوافق ما جاء به فلاسفة الإسلام، لأن من كمال الصبر أن يكتم العبد المرض والفقر وجميع المصائب، وقيل من إن من كنوز البر هو كتمان المصائب وكتمان الصدقة. وبعد هذه التقسيمات التي ظهرت أن وجوب الصبر في جميع الأحوال والأفعال، فالذي كفى الشهوات جميعها واعتزل وحده فإنه لا يستغني عن الصبر بالعزلة والانفراد ظاهراً، وأن يصبر عن وساوس الشيطان باطناً. إذن فحقيقة الصبر وكماله هو الصبر على كل حركة مذمومة، وحركات الباطن هي الأولى بالصبر وهذا هو دوام الصبر الذي لا يقطعه إلا الموت.

(١) سورة البقرة : الآية (١٥٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، (٢/ ٦٣١) برقم (٩١٨)، باب ما يقال عند المصيبة، من حديث أم سلمة .

الخاتمة

عن طريق القراءة في هذه المقاصد التي جاءت على الترتيب العلمي؛ كي نستمد منها الفائدة ونبين مواطن الاستنتاج تبين لي تحقيق العلماء ما يأتي:

١- إنَّ الصبرَ من الأخلاق العظيمة التي خلقها الله تعالى عند الناس ،وكان هذا الخُلُق العظيم سائداً عند العرب، ولكن جاء الإسلام وثبّتَ أركانه وبنا دعائمه بأصول إلهية كريمة، متمثلة بشخصية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

٢- أضاف الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أكثر الدرجات والخيرات في الآخرة إلى الصبر وجعلها ثمرة له.

٣-من بيان الفلاسفة المسلمين تبين أنّ الصبر اقتصروا على تجسيده ووضعهِ في تقسيمين، وهذا التقسيم مأخوذ من منظور فلسفي؛ ولهذا درجوه تحت قسم العفة والقسم الآخر تحت ظل الشجاعة، كما ذكره ابن مسكويه في كتابه الأخلاق.

٤- يعدُّ الفلاسفة اليونانيين أنّ الفضائل ومنها الصبر تأتي بالتدريب والاستعداد والعادة، وأن النفس مهيأة لاكتسابها .

٥- ألبس الإمام الغزالي (رحمه الله) فضيلة الصبر الحُلةَ الإسلامية؛ عن طريق تقصي الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ، وما نقلته الآثار. فهو بذلك وظّفَ المادة الفلسفية توظيفاً حقيقياً عن طريق جعلها تستظل في ظل الشريعة الإسلامية عن طريق التجسيد العلمي لهذه الفضيلة، وبين أن الصبر يتحلى به الإنسان من غيره من المخلوقات البهيمية والملائكية، فكان في المقامات العلية من الرضا، كونه حقق فضيلة الصبر عن طريق اليقين فنال فيه الأجر كله .

المصادر والمراجع

❖ بعد القرآن الكريم.

١. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي.(ت:٥٩٧هـ). الثبات عند الممات. تح: عبد الله الليثي الأنصاري.ط١. ، بيروت :١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.
٢. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر الجوزية. (تـ ٧٥١هـ). رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه. تح: عبد الله بن محمد المديفر.ط١. الرياض: مطابع الشرق الأوسط، (١٤٢٠هـ).
٣. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر الجوزية. (تـ ٧٥١هـ). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.ط٢. بيروت: دار الكتاب العربي،١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م .
٤. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (ت: ٧٢٨ هـ). جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن. القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، (١٣٧٥هـ).
٥. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. ط٢. تح: سيد جاد الحق. حيدر آباد- الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.
٦. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني. (تـ ٨٥٢هـ). تقريب التهذيب. تح: محمد عوامه. ط١.سوريا: دار الرشيد،١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
٧. ابن حزم ، علي بن أحمد.(ت٤٥٦هـ). رسائل ابن حزم الأندلسي. تح: إحسان عباس. ط١. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٨٠م.
٨. ابن فارس، أحمد بن فارس. (تـ ٣٩٥هـ). معجم مقاييس اللغة . تح: عبد السلام محمد هارون. ط١. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٩. ابن كثير، إسماعيل بن عمر . (ت: ٧٧٤هـ). تفسير القرآن العظيم. تح: سامي بن محمد سلامة.ط٢. دار طيبة ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.
١٠. ابن مسكويه أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ). تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. تح: ابن الخطيب.ط١. مكتبة الثقافة الدينية ،٢٠١١م .

١١. بالخضر، حياة بن سعيد بن عمر" النفس عند الفلاسفة الإغريق" مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد: ٤٦(محرم -١٤٣٠هـ) .
١٢. البخاري، محمد بن اسماعيل (ت: ٢٥٦هـ). صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح. تح: محمد زهير بن ناصر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.ط١. دار طوق النجاة،١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
١٣. البزار، أحمد بن عمرو. (ت:٢٩٢هـ). مسند البزار = البحر الزخار. تح: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون.ط١. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم،٢٠٠٩م.
١٤.الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. (ت: ٢٧٩هـ) الجامع الكبير= سنن الترمذي. تح: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨ م.
١٥.الجرجاني، علي بن محمد. (ت:٨١٦هـ). التعريفات. تح: مجموعة علماء.ط١. بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
١٦.الجوهري، اسماعيل بن حماد. (ت٣٩٣هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تح: أحمد عبد الغفور عطار.ط٤. بيروت: دار العلم للملايين،١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
١٧.الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري(ت: ٤٠٥هـ). المستدرك على الصحيحين. تح: مصطفى عبد القادر عطا. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
١٨.الدوري، قحطان عبد الرحمن. العقيدة الإسلامية ومذاهبها. ط٢. بيروت: دار ناشرون ، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢ م.
١٩.الديلميّ، شيرويه بن شهردار(ت:٥٠٩هـ) .الفردوس بمأثور الخطاب. تح: السعيد بن بسيوني زغلول. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٠.الذهبي، محمد بن أحمد. (ت:٧٤٨هـ). سير أعلام النبلاء . تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. ط٣. مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .
٢١.الزركلي، خير الدين بن محمود .(ت١٣٩٦هـ). الأعلام. ط١٥. دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

٢٢.سيد أحمد، عبد الفتاح محمد . التصوف بين الغزالي وابن تيمية. ط١. مصر: دار الوفاء، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م.
٢٣.عبد النور، خشعي" فلسفة الأخلاق بين ابن مسكويه وأبو حامد الغزالي" رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠١٨م.
٢٤.العراقي، عبد الرحيم بن الحسين. (ت: ٨٠٦هـ). المغني عن حمل الأسفار = تخريج ما في الإحياء من الأخبار. ط١. بيروت : دار ابن حزم،١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .
٢٥.الغزالي ، أبو حامد محمد. (ت ٥٠٥هـ). إحياء علوم الدين. بيروت: دار المعرفة.
٢٦.الفارابي، أبو نصر. آراء المدينة الفاضلة. ط٢. لبنان: دار المشرق٢٠٠٠م.
٢٧.الفراهيدي، خليل بن أحمد .(ت:١٧٠هـ). العين. تح: مهدي المخزومي– إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.
٢٨.القشيري، عبد الكريم بن هوازن .(ت٤٦٥هـ). الرسالة القشيرية.ط١. بيروت :١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
٢٩.الكلاباذي، محمد بن أبي إسحاق .(ت ٣٨٠هـ). التعرف لمذهب أهل التصوف. تح:أحمد شمس الدين .ط١. بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ–١٩٩٣م.
٣٠.الكندي، يعقوب بن إسحاق .الحيلة في دفع الأحزان. تح: محمد عبد الهادي أبو ريدة. دار الفكر العربي للنشر،١٣٣٦هـ– ١٩٥٠م.
٣١.مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري.(ت:٢٦١هـ). صحيح مسلم = المسند الصحيح . تح: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م.

References

❖ ***After the Holy Quran.***

- *Abdul Nour, Khasha'i "Falsafat Alakhlaq Bayn Abn Maskawih Waabu Hamid Alghazalii" Master's Thesis, University of Mohamed Boudiaf – Faculty of Humanities and Social Sciences, 2018AD.*
- *Al-Bazzar, Ahmad bin Amr. (d. 292 AH). Al-Bazzars Musnad = Al-Bahr Al-Zakhkhar. ed: Mahfouz Al-Rahman Zain Allah, and others. 1nd ed. Al-Madinah Al-Munawwarah: Maktabat Al-Ulum Wal-Hikam, 2009 AD.*
- *Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail (d. 256 AH). Sahih Albukharii = Aljamie Almusnad Alsahih. ed: Muhammad Zuhair bin Nasser, Numbering: Muhammad Fuad Abdul Baqi. 1nd ed. Dar Tawq Al-Najah, 1422 AH - 2001 AD.*
- *Al-Daylami, Shiruyeh bin Shahrdar (d. 509 AH). Al-Firdaws bi-Mathur Al-Khattab. ed. Al-Saeed bin Basyouni Zaghloul. 1nd ed. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, 1406 AH - 1986 AD.*
- *Al-Dhahabi, Muhammad bin Ahmad (d. 748 AH). Sayr Aelam Alnubala. ed. A group of researchers under the supervision of Sheikh Shuaib Al-Arnaout. 3nd ed. Al-Risalah Foundation, 1405 AH - 1985 AD.*
- *Al-Douri, Qahtaan Abdul Rahman. Aleaqidat Aliislamiat Wamadhahibuha. 2nd ed. Beirut: Dar Nashiroon, 1433 AH 2012 AD.*
- *Al-Farabi, Abu Nasr. Ara Almadinat Alfadila. 2nd ed. Lebanon: Dar Al-Mashreq, 2000 AD.*
- *Al-Farahidi, Khalil bin Ahmad. (d. 170 AH). Al-Ain. ed. Mahdi Al-Makhzoumi - Ibrahim Al-Samarrai. Dar and Library of Al-Hilal.*
- *Al-Ghazali, Abu Hamid Muhammad. (d. 505 AH). Ihya Ulum al-Din. Beirut: Dar Al-Marifah.*
- *Al-Hakim, Muhammad bin Abdullah Al-Naysaburi (d. 405 AH). Al-Mustadrak ala Al-Sahihain. ed. Mustafa Abdul Qader Atta. 1nd ed. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1411 AH - 1990 AD.*
- *Al-Iraqi, Abdul Rahim bin Al-Hussein. (d. 806 AH). Al-Mughni an Haml al-Asfar = Takhreej ma fi Al-Ihya min Al-Akhbar. 1nd ed. Beirut: Dar Ibn Hazm, 1426 AH - 2005 AD.*
- *Al-Jawhari, Ismail bin Hammad. (d. 393 AH). Alsihah Taj Allughat Wasihah Alearabia. ed. Ahmed Abdul Ghafoor Attar. 4nd ed. Beirut: Dar Al-Ilm Lil-Malayin, 1407 AH - 1987 AD.*
- *Al-Jurjani, Ali bin Muhammad. (d. 816 AH). Altaerifat. ed. Group of Scholars. 1nd ed. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1403 AH - 1983 AD.*
- *Al-Kalabadhi, Muhammad bin Abi Ishaq (d. 380 AH). Altaearuf Limadhhab Ahl Altasawuf. ed. Ahmad Shams Al-Din. 1nd ed. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1413 AH - 1993 AD.*
- *Al-Kindi, Yaqub bin Ishaq. Alhilat fi Dafe Alahzan. ed. Muhammad Abdul Hadi Abu Rida. Dar Al-Fikr Al-Arabi for Publishing, 1336 AH - 1950 AD.*
- *Al-Qushayri, Abdul Karim bin Hawazin (d. 465 AH). Al-Risalah Al-Qushayriyyah. 1nd ed. Beirut: 1422 AH - 2001 AD.*

- *Al-Tirmidhi, Abu Isa Muhammad bin Isa. (d. 279 AH). Aljamie Alkabira= Sunan Altirmidhii. ed: Bashar Awad Marouf. Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami, 1998 AD.*
- *Al-Zarkali, Khair Al-Din bin Mahmoud (d. 1396 AH). Al-Alam. 15nd ed. Dar Al-Ilm Lil-Malayin, 2002 AD.*
- *Baakhdar, Hayat bin Saeed bin Omar "Alnafs eind Alfalasifat Aliighriqa" Umm Al-Qura University Journal for Sharia Sciences and Islamic Studies, Issue: 46 (Muharram - 1430 AH).*
- *Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman ibn Ali (d. 597 AH). Althabat eind Almamat. ed: Abdullah al-Laythi al-Ansari. 1nd ed, Beirut: 1406 AH - 1985 AD.*
- *Ibn al-Qayyim, Muhammad ibn Abi Bakr al-Jawziyya (d. 751 AH). Risalat Abn Alqayim Iilaa Ahad'Iikhwanih. ed: Abdullah ibn Muhammad al-Mudaifer. 1nd ed. Riyadh: Middle East Printing Press, (1420 AH).*
- *Ibn al-Qayyim, Muhammad ibn Abi Bakr al-Jawziyya. (d. 751 AH). Madarij al-Salikin bayna Manazil Iyyaka nabudu wa Iyyaka nastain. 2nd ed. Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1393 AH - 1973 AD.*
- *Ibn Faris, Ahmed bin Faris. (d. 395 AH). Muejam Maqayis Allugha. ed. Abdul Salam Muhammad Harun. 1nd ed. Beirut: Dar Al-Fikr, 1399 AH - 1979 AD.*
- *Ibn Hajar al-Asqalani, Ahmad ibn Ali (d. 852 AH). al-Durar al-Kamina fi Ayan al-Miat al-Thamina. 2nd ed. ed. Sayyid Jad al-Haqq. Hyderabad - India: Council of the Ottoman Encyclopedia, 1392 AH - 1972 AD.*
- *Ibn Hajar, Ahmad ibn Ali al-Asqalani. (d. 852 AH). Taqrib al-Tahdhib. ed. Muhammad Awwameh. 1nd ed. Syria: Dar Al-Rashid, 1406 AH - 1986 AD.*
- *Ibn Hazm, Ali bin Ahmed. (d. 456 AH). Rasayil Abn Hazam Alandalsi. ed. Ihsan Abbas. 1nd ed. Beirut: Arab Institution for Studies and Publishing, 1980 AD.*
- *Ibn Kathir, Ismail bin Omar. (d. 774 AH). Tafsir Alquran Aleazim. ed. Sami bin Muhammad Salamah. 2nd ed. Dar Taybah, 1420 AH - 1999 AD.*
- *Ibn Maskawayh Ahmed bin Muhammad (d. 421 AH). Tahdhib Alakhlaq Watathir Alaeraq. ed. Ibn Al-Khatib. 1nd ed. Library of Religious Culture, 2011 AD.*
- *Ibn Taymiyyah, Ahmad ibn Abd al-Halim. (d. 728 AH). Jawab Ahl Aleilm Waliiman Bitahqiq ma Ukhbir Bih Rasul Alrahman. Cairo: al-Salafiyah Press and its Library, (1375 AH).*
- *Muslim, Muslim bin Al-Hajjaj Al-Nishaburi (d. 261 AH). Sahih Muslim = Almusnad Alsahih. ed. Muhammad Fuad Abdul Baqi. Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, 1374 AH - 1955 AD.*
- *Sayyid Ahmad, Abdul Fattah Muhammad. Altasawuf Bayn Alghazalii Wabn Taymia. 1nd ed. Egypt: Dar Al-Wafa, 1420 AH - 2000 AD.*